إدريس أجبالي في ندوة ما بعد أحداث «شارلي إيبدو»

حقيقة إسلام الجاليات المسلمة بأوربا

يؤكد إدريس أجبالي أن حضوره إلى ندوة نظمها مجلس أوربا كان بصفة شخصية، وليس باعتباره عضوا بمجلس الجالية، ويضيف في هذا الاستجواب أن هناك من فهم مداخلته خطأ، خاصة حينما تحدث عن "الإسلام الفقير" ضمن خارطة الجيل الأول للمسلمين المغاربة الذين هاجروا إلى أوربا، وعن الإسلام «المبلقن»...

» حاوره : يوسف بجاجا

bajajayoussef@gmail.com

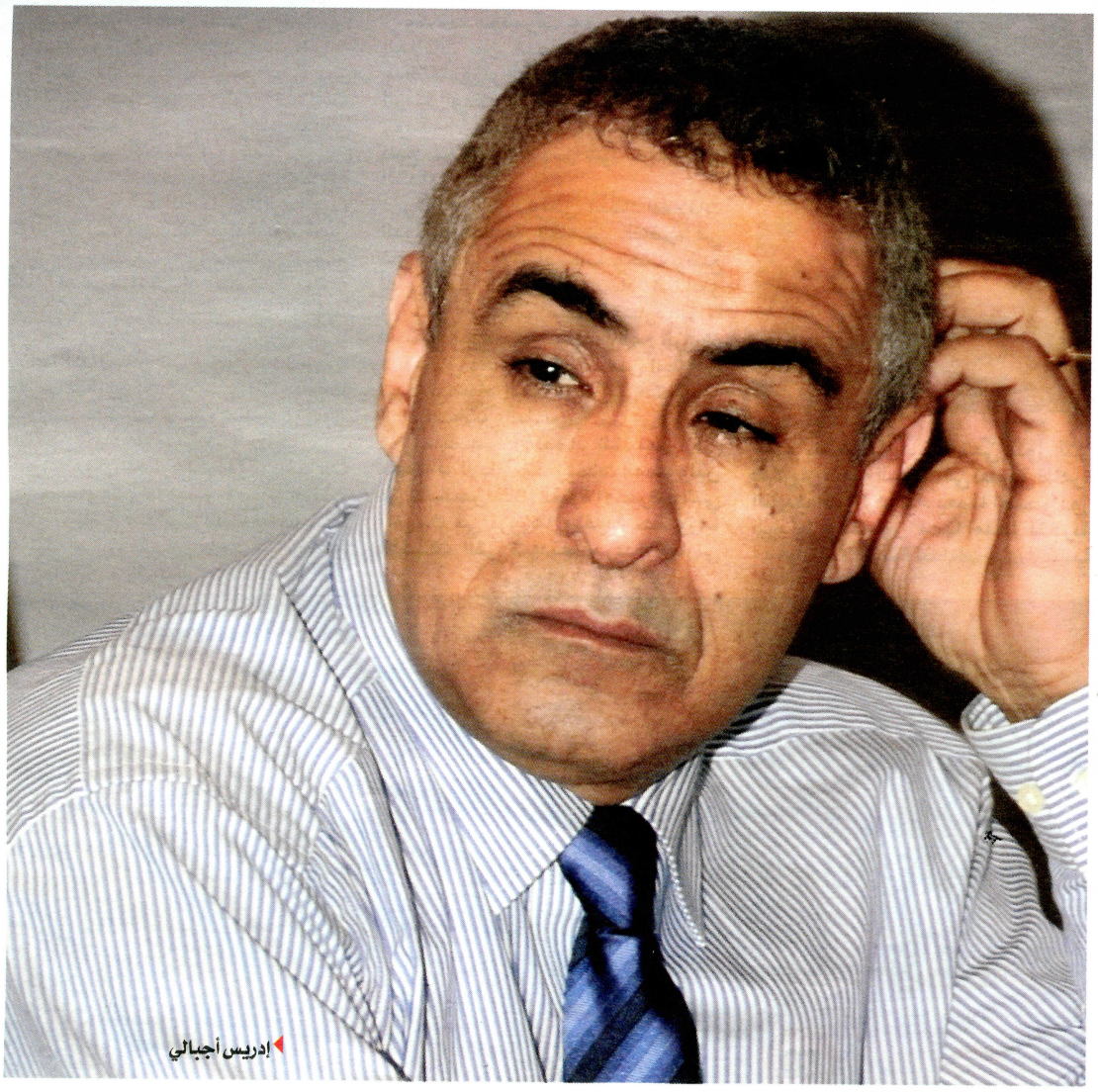

إدريس أجبالي

ما الذي حدث في ندوة حول أحداث "شارلي إيبدو" كنت أحد المتدخلين فيها بمجلس أوروبا بستراسبورغ؟

■ الندوة نظمها مجلس أوروبا بمدينة "ستراسبورغ"، وموضوعها تحليل أحداث أسبوعية "شارلي إيبدو"، الأبعاد والخلاصات. وكان أول المتدخلين صحافية فرنسية كانت تشتغل سابقا في هذه الأسبوعية، قبل أن يُفسح لي المجال بصفتي الشخصية، باعتباري أحد المتخصصين في شؤون الهجرة والعنف، بالإضافة إلى أني كنت طيلة خمس عشرة سنة مديرا لمركز ثقافي يُعنى بقضايا الهجرة والتعايش بأحد الأحياء الفقيرة بستراسبورغ، قبل أن ألتحق بديوان عمدة المدينة.

لقد وافقت على الحضور في الندوة، واعتبرتها فرصة مواتية لإيصال الرسائل الضرورية إلى من يعنيهم الأمر، خاصة في القضية التي ترتبط بالدين والإسلام والهجرة والعنف، وأيضا بالنظر للاختلال البالغ الذي يحدث في قراءة الأسباب، وخاصة حينما يتم الربط المباشر بين الدين والعنف، علما أن إثارة مثل هذه القضايا في عمق فرنسا وفي هذه الظروف الصعبة، وبجانب صحافية من نفس المجلة، قد يعد، لدى البعض، نوعا من المغامرة ويتطلب جرعة كبيرة من الجرأة الأدبية.

وما هو مضمون مداخلتك؟

■ إن الذي حدث في قضية "شارلي إيبدو" هو حدث سياسي من الدرجة الأولى؛ إذ هز أهم مبادئ العالم الديمقراطي، ومنه الجمهورية الفرنسية، ويتعلق الأمر من جهة بحرية التعبير ومن جهة أخرى بمبدأ القدرة على التعايش، وشرحت للحضور أن الذي حدث كان نتيجة ولا يمكن أن يكون منطلقا للتفسير، وأن الأحداث المؤلمة تعيد بحدة سؤال وقضايا الاندماج في فرنسا إلى الواجهة، ثم انتقلت إلى تحليل أبرز الخصائص المميزة للجاليات المسلمة في أوروبا، وخصوصا بفرنسا، واختصرتها في خمسة:

الأولى: كونها تمثل "إسلاما فقيرا"، بما أن أفرادها ينتمون إلى طبقات فقيرة، من العمال بالأساس، وخاصة في فترة السبعينيات والثمانينيات، حيث كانت الجاليات المسلمة في تلك الفترة تقيم الصلاة في المرائب، وهناك عدد من المفكرين الذين كتبوا وحللوا هذه الظاهرة عندما تحدثوا عن "إسلام المرائب"؛ وذلك قبل أن تبنى المساجد ببعض المدن الفرنسية كليون وستراسبورغ وسان تيتيان.

والفقر الذي لازم الجيل الأول من المهاجرين المسلمين هو الذي جعل بعضهم يلجأون إلى دول الخليج لجمع الأموال التي تمكنهم من بناء المساجد؛ وهذا جزء من تاريخ الإسلام والجاليات المسلمة في أوروبا. وهذا واقع لا يخفى على أي متتبع.

الثانية: تتميز الجاليات المسلمة بفرنسا بجهل وضعف على مستوى المعرفة الشرعية والدينية، وهذا راجع بالأساس إلى غياب التأطير من طرف الفقهاء والعلماء، أي غير مؤطرة من طرف المؤسسات التي تعنى بالشأن الديني، ولذلك قلت إنه لا يمكن لأي مسلم أن يصبح مسلحا بثقافة إسلامية صرفة، وذلك بالنظر لغياب المؤسسات في فترة السبعينيات والثمانينيات وحتى بداية التسعينيات. فقلت وشرحت أن الإسلام لدى الجيل الحالي، وخاصة فئة الشباب، لا يتجاوز بعض الأحكام الشرعية الجزئية، وهو ما ينعكس سلبا على تكوينهم الروحي وثقافتهم الدينية..

الثالثة: الميزة الثالثة التي تميز الإسلام في فرنسا كونه "إسلام ضواحي المدن الكبرى"، وأقصد أن جل الجاليات المسلمة كانت تقطن في ضواحي المدن الكبرى، وما يؤكد هذا الكلام مطالبة "ماري لوبين"، زعيمة اليمين المتطرف، بحرمان المسلمين من أداء الصلوات في الأماكن العامة في المدن، وهذا دليل على أن عددا مهما من الجاليات المسلمة يقطن بالمدن وليس في البوادي أو القرى الصغيرة.

الرابعة: إسلام الجاليات المسلمة هو "إسلام مبلقن"، بما أن أصولها مختلفة؛ حيث هناك الإسلام المغربي والجزائري والتركي... وهو ما نتج عنه تنافس وصراع بين المرجعيات ومصالح دول الأصل من أجل قيادة الجاليات المسلمة في أوربا.

الخامسة: تدبير الإسلام في فرنسا مثلا هو تدبير محلي وبلدي (البلديات)، ودور العمدة وعلاقته بالجاليات المسلمة هو دور مركزي؛ بحكم أن الدولة الفرنسية علمانية لا تتدخل في تدبير الشأن الديني.

وبعد حديثي عن هذه الخصائص المميزة للإسلام في أوروبا، قلت إن عدد المسلمين في أوروبا هو حوالي 20 مليون مسلم، إلا أنهم يفتقرون إلى مرجعية واحدة وموحدة، وبالتالي فهم جاليات مسلمة.

> هناك جاليات مسلمة في أوربا وليس جالية موحدة ووحيدة... ومع ذلك فإن مقتل "فان خوخ" بهولاندا والهجوم الدموي على "شارلي إيبدو" يؤثر على باقي المسلمين في الدول الأوربية

ورغم ذلك فإن أحداثا كمقتل "فان خوخ" في هولندا والهجوم الدموي على صحفيي "شارلي إيبدو" لها تأثير على باقي المسلمين في الدول الأوروبية الأخرى، رغم عدم علاقتهم بتلك الأحداث. وبالتالي فإن هذه السياقات تفرض نقاشا عميقا من طرف متخصصين في الهجرة والديمقراطية والعنف والاندماج والأديان ... وهو ما سنقوم به كمجلس للجالية المغربية بالخارج في معرض الكتاب الذي سينظم هذا الأسبوع، حيث سننظم ندوات سيحضرها عدد من الخبراء في مجالات مختلفة ومتشابكة مثل كفرحاد كوسوكوفار وميشال فيفيوركا وفرانسوا بورغا وجورج مالبرنو، وكلود أسكلوفيتش، وعلي بن مخلوف، ومحمد الطوزي، والإمام طارق أوبرو، ورشيد إد ياسين، ومحمد حصحاص...

لماذا تطالب باستبعاد النموذج الديني الإسلامي الذي يمثله الإمام الشلغومي؟

■ لأنه يمثل قراءة معينة للدين الإسلامي، وله صورة لا تحظى برضى فئات واسعة من المسلمين، علما أن الإسلام في أوروبا، وفرنسا بالخصوص، يعيش في وسط يتمتع بديمقراطية واسعة وبحرية التعبير وبالحداثة وبالعلمانية، وبالتالي قلت إن أوربا يجب أن تعطي فرصة واسعة للجالية الإسلامية وأن تقترب أكثر من الجامعة دون أن تغادر المسجد، وأن تقترب من المعرفة وعلوم العصر دون أن تنسلخ عن دينها، وأن تحقق التوازن المطلوب بين تطورات العصر على العديد من المستويات، دون أن تسقط عنها كل ما هو روحي وديني، وبتحقيق هذه المعادلة الصعبة، يمكن حينها أن نقضي على خطر "داعش" الذي بدأ يتسلل إلى عقول الشباب، الذين جرى استقطابهم بخطاب ديني لا علاقة له بالإسلام.

ما الذي جرى بعد مداخلتك؟

■ تم تحريف مداخلتي من طرف أناس ليسوا صحافيين ولا باحثين ولا مفكرين.

ومن يكونون؟

■ أناس محسوبون على أصابع اليد الواحدة، ولديهم عداوة مع مجلس الجالية، ومعي شخصيا، وإن كنت لا أعرف الأسباب التي تدفعهم إلى مثل هذه العداوة، وهم الذين كتبوا أنني قلت إن "الإسلام فقير"، كما قام أحدهم بنشر تغطية على صدر يومية "التجديد" لا أساس لها بمداخلتي، وأشار إلى أنني تدخلت باسم المجلس، وهذا أيضا معطى لا أساس له من الصحة كما شرحت لكم سابقا، بل نشر "لوغو" المجلس على هامش التغطية، وقال إن أحد الباحثين . ذكره بالاسم . كان من بين الموقعين على مقال نشر في هذه اليومية، قبل أن يصدر هذا الباحث بلاغا يؤكد فيه أنه لم يكن من الموقعين، فقال :"إن كاتب المقال أخطأ حين استعمل سيرتي الذاتية محمد حصحاص "باحث مغربي مقيم بروما وحاصل على الدكتوراه في النظرية السياسية حول مفهوم الإسلام الأوروبي" للحديث عن السيد محمد حصحاص الفاعل الجمعوي المقيم بفرنسا"، وزادوا في العداوة حينما وجهوا رسالة إلى رئيس الحكومة تتضمن تأويلاتهم المغرضة لمضامين مداخلتي.